القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الهجرة إلى الحبشة

عبد الحميد جودة السحار

١١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ واذكُرْ فى الكِتابِ مَريَمَ إذِ انْتبَذَتْ من أهْلِها
مكانًا شَرقِيًا . فاتَّخذَتْ من دونِهم حِجابا ،
فَأرْسَلْنا إليها رُوحَنا ، فَتمَثَّلَ لها بَشرًا سَوِيًا . قالتْ
إنِّى أعُوذُ بالرَّحمن مِنكَ إن كُنتَ تَقِيًا . قال : إنَّما
أنا رَسُولُ ربِّكِ لأَهَبَ لكِ غُلامًا زكيًا . قالت :
أنَّى يكونُ لى غُلامٌ ولم يَمسَسْنى بَشَرٌ ولم أكُ بَغِيًا .
قال : كذَلِكِ قال ربُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّن ، ولِنَجْعَلَهُ
آيَةً لِلنَّاسِ ورَحْمَةً مِنَّا ، وكانَ أمْرًا مَقْضِيًا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

اجتَمَعَ الولِيـدُ بـنُ المُغِيرة ، ونَفَرٌ من قُريـش ، وراحُوا يتَحدَّثُونَ عن محمَّد ؛ إنَّ الناسَ سـيقدَمونَ من البـلادِ للحَجِّ عمَّـا قليـل ، وسيَعرِضُ عليهـم محمدٌ دِينَه .

قال الوليد :

ـــ إنَّ وفُـودَ العـربِ سَـتقْدَمُ عليكُـم فـى الموسم ،وقد سمِعُوا بـأمرِ صـاحِبِكم ، فأجمِعُوا فيـه رأيًا واحِدا ، ولا تختَلِفوا ، فيُكَذِّبَ بعضُكم بعضا .

قالوا :

ـ يا أبا عبدِ شمْس ، فقُلْ ماذا نقول .

فقال لهم :

ـ بل أنتم فقولوا وأنا أسمع .

ـ نقولُ كاهِن .

فقال الوليد :

ـ ما هو بِكاهِن ، فما هو بِسَجْعِ الكُهّان .

ـ نقولُ مجنون .

ـ ما هو بِمجنون ، ولقدْ رأينا الجنونَ وعَرَفناه .

ـ نقولُ شاعِر .

فقال الوليد :

ـ ما هو بشاعر ، فقدْ عَرَفنا الشّعر ، فما هو بالشّعر .

ـ فنقول ساحر .

ـ ما هو بساحِرٍ ، قد رأينا السُّحَّارَ وسِحرَهم .

ـ فماذا نقولُ يا أبا عبدِ شمس ؟

ـ واللّه إنَّ لِقَولِه لَحلاوَة ، فما أنتم قائِلونَ من هذا شيئًا إلاّ عُرِفَ أنّه باطِل .

٢

راحَتْ كلُّ قَبيلَةٍ في قُريش تُعذِّبُ من أسلَمَ فيها ، واشتدَّ اضطِهادُ المسلمين ، حتى إنَّ عثمانَ بنَ عفّان ، وزَوجتَه رُقَيَّةَ بنتَ رسولِ اللّه ، والزُّبَيرَ بنَ العَوّام ، فكَّرُوا في الخُروجِ من مكة ، فِرارًا بدِينِهم ؛ فلمّا عَرَضُوا الأمرَ على رسولِ اللّه ، قال لهم :

- لو خرجتُم إلى أرضِ الحَبشة ، فإنَّ بها مَلِكًا لا يُظْلَمُ عندَه أحد ، وهى أرضُ صِدْق ، حتى يجعلَ اللّه لكم فَرَجًا مما أنتم فيه .

وخَرَجَ المهاجِرونَ فى سكونِ الليل على حين غَفلةٍ من قُريش ، وذهبوا إلى البحر ، ورَكبوا مَركَبًا ذهبَ بهم إلى الحبشة ، وعَلِمَت قريش بخروج المسلمينَ فغَضِبَت ، وجَدَّ المشرِكُونَ فى إثْرِهم يطلُبُونَهم ، ولكنَّهم لم يَجِدُوهم ؛ كانوا قد رِكبوا البحر ، ولجئوا إلى ملِكٍ لا يُظلَمُ عنده أحد .

٣

بَلَغَ قُريشًا أنَّ المسلمينَ قد ذهَبُوا إلى النَّجاشِيِّ ملكِ الحبشة ، وأنهم يعيشونَ عنده في أمان ، فرأَوا أن يُرسِلُوا إلى النَّجاشِيِّ هَدِيَّة ، وأن يطلُبُوا مِنه أن يُعِيدَ هؤلاءِ الذين خرجوا من دينِهم ودين آبائِهم ، إلى بلادِهم ، فجَمَعُوا هَدِيَّةً عظيمة ، وأرسَلُوا بها عَمْروَ بن العاصِ وعُمارَةَ بن الوليد .

دخلَ عمرو وعُمارة على النَّجاشِيِّ ، فسجدا له ، وقَدَّما إليه الهديةَ ، فقَبِلها ، وأمَرَ أن يَجْلِسا

إلى جِوارِه ، وأقبَلَ عليهمـا يُحادثُهما ، فقـال عَمْرو بنُ العاص ، وكانَ قصيرًا داهِية :

ـ إنَّ ناسًا من أرضِنا رغِبُوا عن دينِنا ، وهم فى أرْضِك .

قال النجاشىّ :

ـ فى أرضِى ؟

قال عَمْرو :

ـ نعم .

فقال النجاشىّ :

ـ وماذا تُريدونَ منهم ؟

فقال عمرو :

ـ ادفَعْهم إلينا .

ـ لا ، حتى أسمعَ كلامَهم .

وأرسَلَ إلى المسلمينَ فجاءُوا ، فقال لهم :

ـ ما يقولُ هؤلاء ؟

فقالَ له المسلمون :

ـ هؤلاء قومٌ يعبُدونَ الأوثـان ، وإنَّ اللّـه بَعـثَ إلينا رسُولا ، فآمَنَّا به وصَدَّقناه .

فالتفتَ النجاشيُّ إلى عَمْرو ، وقال :

ـ أَعبيدٌ هم لكم ؟

قال عَمْرو : « لا » .

فقال النجاشيّ :

ـ فَلَكم عليهم دَين ؟

فقال عَمْرو : « لا » .

فأَمَرَ النجاشـيُّ المسـلمينَ أن ينصرِفُوا بسـلام ، وخرجَ عَمْرو وعُمارَةُ من عنـده ، وهمـا مُطْرِقـانِ يفكّرانِ فيما يفعلان .

٤

ضايقَ عَمْرًا ألاَّ ينجَحَ فى رَدِّ المسلمينَ إلى مكَّة ، فراحَ يُفكِّر ، حتى اهتدَى إلى فِكرة ، فدخلَ على النجاشىّ ، وأسَرَّ له فى أُذنِه كلاما ، فأرسَلَ النجاشىُّ يطلبُ المسلمين ، فلما جاءُوا ، وهَمُّوا بالدُّخول عليه ، قال جعفرُ بن أبى طالب لهم :

ـ لا يتكلَّم منكم أحد ، أنا خَطِيبُكم اليوم .

ودخلُوا على النجاشىّ ، وهو جالِسٌ فى

مجلسِه ، وعَمْرو بن العاص عن يمينه ، وعُمَارةَ عن يسارِه ، والقِسّيسُونَ جُلوسٌ عندَه ، فسلَّموا عليه ، ولم يسجُدُوا له ، فقال له عَمْرو وعُمارة :

- إنهم لا يسجُدونَ لك .

فصاحَ فيهم القِسّيسُونَ والرُّهبان :

- اسجُدُوا للملِك .

فقالَ جعفر :

- لا نسجُدُ إلاّ للّهِ عَزَّ وجَلّ .

ولّما وصلَ جعفرٌ إلى النجاشيّ ، قال له :

- ما منعكَ أن تسجُد ؟

قال جعفرٌ فى ثبات :

- لا نسجُدُ إلا للّه .

فقال له النجاشيّ :

- وما ذاك ؟ .

فقال جعفر :

- إنَّ اللّه بعثَ فينا رسُولا ، فأَمَرَنا أن نعبُدَ اللّه ولا نُشرِكَ به شيئا ، ونُقِيمَ الصلاةَ ، نُؤْتى الزكاة ، وأمَرَنا بالمعرُوف ، ونهانا عن المُنكَرِ .

فقال عَمْرو بن العاص :

- أصلَحَ اللّه المَلك ، إنهم يُخالِفونك فى عيسى ابنِ مريم .

فقال النجاشيّ لجعفر :

- ما يقولُ صاحِبُكم فى ابنِ مريم ؟

قال جعفر :

ـ يقول فيه قولَ اللّه : هو رُوحُ اللّه وكلمتُه ، أخرجه من العذراء البَتُولِ التى لم يَقْرَبْها بَشرَ .

فتناوَلَ النجاشيُّ عُـودًا مـن الأَرضِ فرفَعَـه ، ثـم قال :

ـ يا معشَرَ القِسّيسِينَ والرُّهبان ، ما يزيدُ هؤلاء على مـا نقـولُ فـى ابـنِ مَريـم ، ولا وزْنَ هـذِه . مَرحبًا بكم وبمن جئتُم من عِندِه ، هل معكَ شـيءٌ مما جاءَ به ؟ .

فأَشرَقَ وجه جعفَر وقال :

ـ نعم .

فقال له النجاشيّ :

ـ هلُمَّ ، فاتلُ عليّ مما جاءَ به .

فراح جعفرٌ يقرأ :

﴿ ... واذْكرُ فى الكتابِ مريمَ إذِ انْتَبَـذَتْ مـن أهلِها مكانًا شرقِيًا . فاتَّخَذَتْ من دُونِهـم حِجابـا فأرسَلْنا إليها رُوحَنا ، فَتَمَثَّلَ لها بشَرًا سَوِيًا . قالت إنّى أعُوذُ بالرَّحمن منكَ إن كنتَ تَقِيًا . قال : إنَّمـا أنا رسولُ ربِّكِ لأهَبَ لكِ غُلامًـا زكيًا . قـالت : أنَّى يكونُ لى غُلامٌ ولم يمسَسْنى بَشَرٌ ولم أكُ بَغِيًـا . قال : كذلكِ قالَ ربُّكِ هو علـى هـيِّن ، ولنجعلَـه آيةً للناس ورحمةً مِنّا ، وكانَ أمْرًا مَقْضِيًا ﴾ .

فقـال النجاشـىّ : إنَّ هـذا الكـلامَ ليخـرُجُ مـن المِشكاةِ التى جاءَ بها موسى ، انطلِقُوا راشِدِين .

وخَرجَ المسلِمونَ مسرورين ، وخَرجَ عَمْرو بـن العاص حزينا ، وزادَ فـى حُزنِـه أنَّ النَّجاشىَّ أمَـرَ بردِّ الهدِيَّةِ التى أرسَلَتها إليه قُرَيش .

وعادَ عَمْرو بن العاص إلى مكة يجرُّ ذيولَ الخَيْبة !